مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (1)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (1) 2011

تَأَثُّرُ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ بِالجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الأُولَى "حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ"

الدُّكْتُور سَامِي عَوَض *
يَاسِر محمَّد مُطْرَه جي**

(تاريخ الإيداع 28 / 11 / 2010. قبل للنشر في 8 / 2 / 2011)

□ ملخّص □

يَهْدُفُ هَذَا البَحْثُ إِلَى إِظْهَارِ أَثَرِ الجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الأُولَى فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ، فِي دِرَاسَةٍ تَرْبِطُ عِلْمَ النَّحْوِ –بِمَفْهُومِهِ الوَاسِعِ– بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي وُظِّفَتْ فِيهَا قَوَاعِدُهُ، وَرُسِمَتْ أُصُولُهُ؛ لأَدَاءِ المَعَانِي، وَتَوجِيهِ الأَحْكَامِ.

وَفِي سَبِيلِ ذَلِكَ حَصَرْتُ الدِّرَاسَةَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَامَّةً؛ لأَنَّهُ المَصْدَرُ الأَوَّلُ وَالرَّئِيسُ لِلنَّحْوِ العَرَبِيِّ الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ العُلَمَاءُ عُلُومَ العَرَبِيَّةِ كَافَّةً، وَفِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ خَاصَّةً؛ لأَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الكُتُبِ يُرَكِّزُونَ فِيهَا عَلَى المَعْنَى المُتَأَتِّي مِنَ الاخْتِلَافِ فِي الإِعْرَابِ؛ وَهِيَ غَايَةُ البَحْثِ الرَّئِيسَةُ المَنْشُودَةُ، فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ الَّتِي اكْتَمَلَتْ فِيهَا جُهُودُ النَّحْوِيِّينَ، وَتَأَصَّلَتْ قَوَاعِدُهُمْ، وَانْتَظَمَتْ أَقْيِسَتُهُمْ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: مَعَانِي النَّحْوِ، وَنَحْوُ المَعَانِي، ومَعَانِي القُرْآنِ، وَالقُرْآنُ وَالنَّحْوُ، وَالنَّحْوُ وَالمَعْنَى.

* أستاذ – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللّاذقيّة – سورية.
**طالب دكتوراه – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللّاذقيّة– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (1)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (1) 2011

The Influence of Grammatical and Linguistic First Efforts in the Books of Meanings and Analyzing of the Quran "Till the End the Fourth Century AH"

Dr. Sami Awad *
Yasser Motraji**

(Received 28 / 11 / 2010. Accepted 8 / 2 / 2011)

□ ABSTRACT □

This research aims to demonstrate the impact of grammatical and linguistic first efforts in the books of the meanings and analyzing the Quran until the end of the fourth century AH, in a study linking the science of grammar and the way that utilized the rules for the performance of meanings.

In order that restricted the study in the Holy Quran in general; because it is the first source for the Arabic grammar which the scientists have derived from it the whole Arab sciences, in the books of the meanings and analyzing the Quran till the end of the fourth century AH especially; because the writers of these books emphasize on the meaning that derived from the difference in analyzing; a very major search desired, in this period it has been completed by the efforts of the grammarian and seized their elements.

Key Words: the meaning of linguistic, grammar of the meaning, the meaning of Quran, the linguistic and the Quranic verses,The linguistics and the meaning.

*Professor, Department Of Arabic, Faculty Of Arts And Human Sciences, Tishreen University, Lattakia – Syria.
**postgraduate Student, Department Of Arabic, Faculty Of Arts And Human Sciences, Tishreen University, Lattakia.

مُقَدِّمَة:

أَجْمَعَ النَّحْوِيُّونَ وَاللُّغَوِيُّونَ والمُفَسِّرُونَ، قَدِيمُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ، عَلَى أَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ كَانَ السَّبَبَ الأَكْبَرَ فِي نَشْأَةِ النَّحْوِ، وَأَنَّ هَذِهِ النَّشْأَةَ كَانَتْ فِي رِحَابِهِ الكَرِيمِ، وَأَنَّ اللَّحْنَ فِي قِرَاءَتِهِ كَانَ هُوَ اللاَّفِتَ لِلنَّظَرِ وَهُوَ الدَّاعِيَ لِتَقْنِينِ كَلاَمِ العَرَبِ، بِما يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ لُغَتَهُمْ فَصِيحَةً سَلِيمَةً.

فَالعَرَبِيَّةُ لُغَةُ القُرْآنِ، وَأَسَالِيبُهَا هِيَ الأَسَالِيبُ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنِ المَضَامِينِ التَّشْرِيعِيَّةِ لِهَذَا الدِّينِ الحَنِيفِ، وَإِنَّ ارْتِبَاطَ الفُصْحَى بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ كَتَبَ لَهَا الحياةَ وَالاسْتِمْرَارَ وَالغَلَبَةَ وَالانْتِشَارَ، وَقَدْ أَوْلَى التَّنْزِيلُ اللَّفْظَ عِنايَةً فَائِقَةً، وَالمَعْنَى مَكَانَةً مُهِمَّةً، فالأَلْفَاظُ تَدلُّ عَلَى المَعَانِي بِدِقَّةٍ فَائِقَةٍ، وَلِنَظْمِ القُرْآنِ بَراعةٌ فِي تَنْزِيلِ اللَّفْظِ مَنْزِلَتَهُ فِي الوَضْعِ الَّذِي أُرِيدَ لَهُ؛ لِذَلِكَ كَانَ يُنْظَرُ إِلَى النَّحْوِ خَاصَّةً عَلَى أَنَّهُ جزْءٌ مِنْ ثَقَافَةِ أُمَّةٍ، يَنْبَغِي تَحْصِيلُهُ لِلتَّمَكُّنِ مِنْ فَهْمِ الدِّينِ وَأُصُولِهِ.

وَإِنَّ طَبِيعَةَ الدِّرَاسَةِ فِي هَذَا البَحْثِ ذَاتُ مَنْحَىً نَحْوِيٍّ دَلاَلِيٍّ، فَهُوَ مُخْتَصٌّ بِكُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ، وَسَيَكُونُ اعتمادي فيهِ –إِضَافَةً إِلَى هَذِهِ الكُتُبِ– عَلَى كُتُبِ مَجَازِ القُرْآنِ، وَتَأْوِيلِ مُشْكِلِهِ، وَتَفْسِيرِ غَرِيبِهِ؛ لأَنَّ مُصطلحاتِ (التَّأْوِيلِ، وَالغَرِيبِ، وَالمُشْكِلِ، وَالمَجَازِ) عِنْدَ أَصْحَابِهَا لَمْ تَدُلَّ عَلَى المَعَانِي الضَّيِّقَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا لَهَا عُلَمَاءُ البَلاَغَةِ وَالتَّفْسِيرِ فِيمَا بَعْدُ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى اسْتِكْنَاهِ أَسَالِيبِ النَّظْمِ، وَاسْتِخْرَاجِ أَدَوَاتِ الصِّيَاغَةِ، وَاسْتِنْبَاطِ قَوَاعِدِ التَّعْبِيرِ، وَتَتَبُّعِ طُرُقِ البَيَانِ الَّتِي يَسْلُكُهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي تَعْبِيرَاتِهِ؛ لِيَصِلُوا بِهَا إِلَى حَقَائِقِ المَعَانِي الوَارِدَةِ فِيهِ، وَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ كَيْفِيَّةَ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهَا، وَآلِيَّةَ العُبُورِ إِلَى اسْتِيعَابِ أَغْرَاضِهِا وَأَهْدَافِها وَمَقَاصِدِهَا الَّتِي نَصَّ عَلَيهَا كِتَابُ اللهِ بِمَا حَوَاهُ مِنْ آيَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، وَسيكونُ اعْتِمَادِي أَيْضاً عَلَى كُتُبِ مَعَانِي القِرَاءَاتِ، وحُجَجِها، وَتَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَاذِّهَا أَحْيَانَاً؛ لأَنَّها تُعِينُ البحثَ على استخلاصِ المعاني الّتي تنطوي عليها القراءَاتُ المُتَوَاتِرَةُ أَوِ الشَّاذَّةُ، وتساعِدُهُ في بيانِ دورِ الاختلافِ في هذه القراءَاتِ القُرآنيَّةِ في تعدُّدِ الأَوجهِ الإعرابيَّةِ الّتي تُسْهِمُ بدورِها في تعدُّدِ الدّلالاتِ وتنوّعِ الغاياتِ، حَيْثُ تَظْهَرُ مُرُونَةُ التَّشْرِيعِ فِي الأَحْكَامِ، وفسحتُهُ في التّكاليفِ، واتّساعُهُ في الجوازاتِ لدى المُخَاطَبِينَ جَمِيعاً على اختلافِ مَسْؤُولِيَّاتِهِمْ واحتياجاتِها وضروراتِها.

أَهَمِّيَّةُ البَحْثِ، وَأَهْدَافُهُ:

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ إِطْلاَقَ مُصْطَلَحِ "كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ" في هذا البحثِ، يُقْصَدُ من ورائِهِ كتابٌ مِنَ الكُتُبِ الآتِيَةِ: "مَعَانِي القُرْآنِ": لِلْكِسَائِيِّ وَالفَرَّاءِ وَالأَخْفَشِ وَالنَّحَّاسِ، وَ"مَجَاز القُرْآنِ" لأَبِي عُبَيْدَةَ، وَ"تَأْوِيل مُشْكِل القُرْآنِ" لابن قُتَيْبَةَ، وَ"مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرابه" لِلزَّجَّاجِ، وَ"إِعراب القُرْآن" لِلنَّحَّاس، وَ"إِعْرَابُ ثَلاَثِيْنَ سُوْرَةً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ" وَ"الحُجَّةُ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعِ" وَ"مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع" لابنِ خَالَوَيْه، وَ"الحُجَّةُ للقُرَّاءِ السَّبْعَةِ" لأَبِي عليٍّ الفَارِسِيِّ؛ لِمَا بَيَّنَّاهُ مِنْ صلةٍ وثيقَةٍ بينَ هَذِهِ الكُتُبِ جميعاً من وحدةٍ في الهدفِ الكامنِ وراءَ المنهجِ المُتَّبعِ فِي كُلٍّ... وَلأَنَّ تركيبَ مُصْطَلَحِ "مَعَانِي القُرْآنِ" أشملُ من تركيبِ مصطلحِ "إعرابِ القُرآنِ"؛ فَإِذَا كانَ "الإِعْرَابُ" –كَمَا يُقَالُ– "قَرْعُ المَعْنَى"[1]، تكونُ المعاني أشملَ مِنَ الإعرابِ، وعليهِ فالإعرابُ فرعٌ والمعاني أصولٌ، فَإِذا أضفنا "المعاني" إلى "القُرآن"، وكانتِ الإضافةُ على معنى "فِي"، فكأَنَّما كُتُبُ معاني القُرآن، إِنَّما هي: "أصولُ النَّحْوِ في

(1) انظر: الزّركشيّ، بدر الدّين محمّد. *البُرهان في علوم القرآن*. تحـــ. محمّد أبو الفضل إِبْرَاهِيم. ط2، المكتبة العصريّة، صيدا–بيـــروت، 1425هـــ–2005م، ص302. وانظر: السّيُوطيّ، جَلاَل الدّين. *الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ القُرْآنِ*. تحـــ. سعيد المندوب، ج2، ط1، دار الفكـــر، بيروت–لبنان، 1416هـــ–1996م، ج1، ص528.

القُرآنِ"[2]، وهذا ما تسعى دراستُنا إلى تأكيدِهِ في هذا البحثِ، مِنْ خلالِ دراستِنا لكتبِ "معاني القُرآنِ" المُشارِ إليها، مُظْهِرينَ مَكَانَةَ النَّحْوِ –بِمَعْنَاهُ الوَاسِعِ– عِنْدَ أَصْحَابِها.

إِذْ مِنَ المَعْرُوفِ أَنَّ هُنَاكَ مَدَارِسَ وَتَيَّارَاتٍ، وَمَذَاهِبَ وَاتِّجَاهَاتٍ، وَمَنَاهِجَ وَنَظَرِيَّاتٍ عَدِيدَةً مُتَنَوِّعَةً لِلتَّفْسِيرِ، مُنذُ عَهْدِ الصَّحَابَةِ ﷺ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا: كَالتَّفْسِيرِ بِالمَأْثُورِ، وَالتَّفْسِيرِ بِاللُّغَةِ وَالبَيَانِ (فِي مَرْحَلَةِ التَّأْسِيسِ وَالتَّأْصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ)، وَكَالتَّفْسِيرِ بِالاستنباطِ والاجتهادِ والتَّأْوِيلِ (فِي مَرْحَلَةِ التَّأْصِيلِ)، وَكَالتَّفْسِيرِ بِالعَقْلِ وَالرَّأْيِ، وَالتَّفْسِيرِ بِالفِقْهِ، وَالتَّفْسِيرِ بِالجَمْعِ (فِي مَرْحَلَةِ التَّفْرِيعِ)، وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ المَرَاحِلُ الثَّلاَثُ مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ إلى نهايةِ القرنِ الرَّابِعَ عَشَرَ الهِجْرِيِّ؛ ليدخلَ التّفسيرُ (فِي مَرْحَلَةِ التَّجْدِيدِ) القَائِمَةِ عَلَى الإِبْدَاعِ وَالتَّحْسِينِ وَالجِدَّةِ، والاستفادةِ من العلومِ والمعارفِ والثّقافاتِ الأخرى، وتوسيعِ معاني الآياتِ القرآنيّةِ، وإحسانِ تنزيلِها على الواقعِ المُعاشِ، وتغييرِ النّظرةِ التّقليديّةِ للمراحلِ التّفسيريّةِ السّابقةِ[3]، وَلِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ المَرَاحِلِ الأَرْبَعِ السَّابِقَةِ رِجَالُهَا الَّذِينَ أَرْسَوْا دَعَائِمَهَا، وَرَفَعُوا أَعْمِدَتِهَا، وَشَيَّدُوا صُرُوحَهَا، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مُؤَلَّفَاتٌ تَزْخَرُ بِهَا المَكْتَبَاتَانِ العَرَبِيَّةُ وَالإِسْلاَمِيَّةُ، وَلَيْسَ مِنْ هَدَفِ هَذَا البَحْثِ الخَوْضُ فِي ذِكْرِ أَسْمَاءِ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ وَمُؤَلِّفِيها؛ إِذْ مَا يَهُمُّنا مِنْ هَذِهِ الاتِّجَاهَاتِ كُلِّهَا هُوَ الاتِّجَاهُ اللُّغَوِيُّ البَيَانِيُّ النَّحْوِيُّ في التَّفْسِيرِ، الَّذِي أَخَذَتْ بذورُهُ تضربُ في رياضِ التّفاسيرِ منذُ نشأتِها فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ ﷺ، وأَخَذَتْ كتُبُ مُؤَلِّفِيْها مِنَ النَّحْوِيِّيْنَ وَاللُّغَوِيِّيْنَ مُسَمَّيَاتٍ مُتَنَوِّعَةً مُتَوَجِّهَةً نَحْوَ غَايَةٍ وَاحِدَةٍ، تَتَلَخَّصُ فِي تَفْسِيرِ لُغَةِ القُرْآنِ، وَبَيَانِ مَعَانِي مُفْرَدَاتِهِ، وَتَوْضِيحِ مَجَازِهِ وَغَرِيبِهِ، وَتَأْوِيلِ مُشْكِلِ إِعْرَابِهِ؛ لِذَلِكَ نَرَى عناوينَ هذه الكُتُبِ جاءتْ مُختلِفةً في الأَسْمَاءِ، مُتَقَارِبَةً فِي الأَهْدَافِ وَالإِنْجَازَاتِ وَالأَغْرَاضِ وَالغَايَاتِ، ورأيناها –كَمَا ذَكَرْنَا– تَسْتَقْطِبُها العَنَاوِينُ الخَمْسَةُ الآتِيَةُ: "مَجَازُ القُرْآنِ"، وَ"مَعَانِي القُرْآنِ"، وَ"غَرِيبُ القُرْآنِ"، وَ"تَأْوِيلُ القُرْآنِ"، وَ"إِعْرَابُ القُرْآنِ".

وَبِناءً عَلَيْهِ فَإِنَّ أَهَمِّيَّةَ هَذَا البَحْثِ وَغَايَتَهُ تَتَّجِهانِ نَحْوَ إِظْهَارِ دَوْرِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ وَمَكَانَتِهِ فِي تَفْسِيرِ المَعَانِي الدِّينِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكريمِ، فِي ضَوْءِ الجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ الّتي بذلَها أَصْحابُ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ، مُتَأَثِّرِينَ بالجُهُودِ الأُولَى الّتي أَرْسَى دَعائِمَها نَحْوِيُّونا ولُغَوِيُّونا الأوائِلُ؛ النَّحْوِ الّذي لو تُسُوهِلَ فيهِ لالتبسَ كثيرٌ مِنَ الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، وَلاخْتَلَّ كَثِيرٌ مِنَ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ، وَلَضَاعَ كَثِيرٌ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لأَنَّهُ بِتَطْبِيقِ قَوَاعِدِهِ تُصانُ الألسنةُ، وَبِرَسْمِ أُصُولِهِ تَسلمُ اللُّغَةُ الّتي هي قبلَ كلِّ شَيْءٍ انتِمَاءٌ، وَلَوْ أَسْهَمَ أَحَدٌ –بِقَصْدٍ أَوْ بِغَيْرِ قَصْدٍ– بِالتَّفْرِيطِ فِيها، لانْتَهَى إِلَى ضَيَاعِهِ، وَضَيَاعِ مَا يَنْتَمِي إِلَيْهِ.

مَنْهَجِيَّةُ البَحْثِ:

وَاخْتَرْتُ أَنْ أَعْرِضَ ذَلِكَ كُلَّهُ وِفْقَ مَنْهَجٍ وَصْفِيٍّ أَسْتَقْرِئُ فِيهِ بَعْضاً مِنْ مَوَاضِعِ تَأَثُّرِ أَصْحَابِ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ بِمَا سَبَقَهُمْ مِنْ جُهُودٍ نَحْوِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ، وَأَنسبُ كُلَّ وَجْهٍ إِلَى صَاحِبِهِ، مَعَ الوُقُوفِ أَحْيَاناً عَلَى المَعَانِي المُتَأَتِّيَةِ مِنْهَا، المُخْتَلِفَةِ بِاخْتِلاَفِهَا، فِي ضَوْءِ إِظْهَارِ دَوْرِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ وَبَيَانِ أَهَمِّيَّتِهِ فِي تَفْسِيرِ المَعَانِي وَتَعَدُّدِ الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ، مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ طَبِيعَةِ النَّحْوِ وَوَظِيفَتِهِ عَلَى مُسْتَوَى أَعمقَ وَأَكْثَرَ مَوْضُوعِيَّةً.

([2]) الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. تحـ. د. هُدى محمود قراعة. ط1، مكتبة الخانجي–مطبعة المَدَني، القاهرة، 1411هـ–1990م، مُقَدِّمَةُ المُحَقِّقَةِ، ج1، ص25.

([3]) الخالدي، د. صلاح عبد الفتّاح. *تعريفُ الدّارسينَ بمناهجِ المُفَسِّرينَ*. ط1، دار القلم، دمشق، 1423هـ–2002م، ص35–47.

أَثَرُ الجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الأُولَى فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ:

فِي أَثْنَاءِ الحَدِيثِ عَنْ جُهُودِ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ الأَوَائِلِ، الَّذِينَ وَضَعُوا الحَجَرَ الأَسَاسَ لِهَذَا العِلْمِ الجليلِ، وَعَنْ أَثَرِها في كتبِ معاني القُرآنِ وَإِعْرابِهِ، الّتي هي مناطُ البحثِ ووجهتُهُ الرئيسةُ، سَأَكْتَفِي بذكرِ آرائِهم ومذاهبِهم الّتي اعتمدوها في أَثناءِ تخريجهم للشواهدِ القرآنيّةِ وغيرِها، دون التّعريجِ على الحديثِ عن طريقةِ كلٍّ منهم، ومصادرِ احتجاجِهِ، ومنهجيَّتِهِ الّتي اتّبعها في البحثِ والاستقراءِ والجمعِ والتقنينِ والتّبويبِ في أَثناءِ ضبطِ القواعدِ وتمحيصِها والخروجِ بها على الوجهِ الذّي ارتضاهُ كلٌّ منهم؛ لأَنَّ هذا العملَ ليس من مقاصدِ هَذَا البَحْثِ.

1- أَثَرُ عَبْدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ، وَمُجاهِدِ بنِ جبر:

لَعَلِّي لاَ أُجَانِبُ الصَّوَابَ إِذَا قُلْتُ إِنَّ أُوْلَى مَظَاهِرِ الاعتمادِ عَلَى النَّحْوِ في التّفسيرِ -وَإِنْ كانتْ بشكلٍ يسيرٍ، وبغيرِ مُصطلحاتِهِ الّتي عُرِفَتْ فيما بَعْدُ- قَدْ ظَهَرَتْ في مَجَالِسِ التَّفْسِيْرِ لَدَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، كمجالسِ ابنِ عبَّاسٍ[4] ومجاهدٍ[5] وغيرِهما، وإِنَّ من مظاهرِ تأثُّرِ أصحابِ كتبِ معاني القرآنِ وإعرابِهِ ببعضِ آرائهما، ما نراهُ في كثرةِ النُّقولِ عنهما، واعتمادِ رَأْيَيْهِمَا في كثيرٍ من الأحايين، وَمَا يهمّني من ذلكَ هو وقوفُهم على بعضِ تخريجاتِ كلٍّ منهما الّتي بنوها على فِكْرٍ نَحْوِيٍّ، وإِنْ كانَ ذلكَ دون الإشارةِ منهما إلى ذلكَ صراحةً؛ إِذِ المُهِمُّ أَوَّلاً وأخيراً – كما ذكرْتُ- هو التّخريجُ لا المُسَمَّياتُ الّتي اصطُلِحَ عليها فيما بعد.

أ- أَثَرُ ابنِ عَبَّاسٍ﵄:

ومن ذلكَ ما نقلَهُ الكسائيُّ عن ابن عبّاس في أثناءِ وقوفِهِ على المعاني المُستنبطةِ من قولِهِ تعالى: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}**[6]، بقولِهِ: «وَقَرَأَ ابنُ عَبَّاسٍ: {شَهِدَ اللَّهُ إِنَّهُ} بالكسرِ، و {أَنَّ الدِّينَ} بالفتحِ»[7]، واستحسنَ هذا الوجهَ الفَرَّاءُ في كتابِهِ "معاني القُرآن" بعدَ أَنْ نقلَهُ، وعلَّقَ عليه بقولِهِ: «وهو وجهٌ جيِّدٌ؛ جَعَلَ {إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} مُسْتَأْنفةٌ مُعترِضةٌ -كَأَنَّ الفاءَ تُرَادُ فيها- وأوقعَ الشّهادةَ على {أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}»[8]، وأوضحَ الزّجّاج المعنى أيضاً -بعدما نقلَ هذا الوجْهَ في كتابِهِ "معاني القُرآن وإعرابه"- بقولِهِ: «فالمعنى: شَهِدَ اللهُ أَنَّ الدِّيْنَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وأَنَّهُ لا إله إلاَّ هو»[9].

([4]) وقد جَمَعَ أَقوالَهُ في التّفسيرِ المُفَسِّرُ عليُّ بنُ أَبِي طَلْحَةَ الهَاشِميُّ في مخطوطٍ قديمٍ، اسمُهُ "تَفْسِيرُ القُرْآنِ الكَرِيْمِ"، قامَ بتحقيقِهِ راشد عبد المُنعم الرَّجال، وانتهى إلى تسميتِهِ بـــ "تَفْسِيرُ ابنِ عَبَّاس"، وطبعتْهُ دار الكتب الثّقافيّة في بيروت.

([5]) وقد جُمِعَتْ أَقوالُهُ المُختارةُ في التّفسيرِ في مخطوطٍ قديمٍ، اسمُهُ "تَفْسِيرُ مُجاهِدُ"، قامَ بتحقيقِهِ الشّيخُ عبد الرّحمن الطّاهر ابن محمّد السّورتي، وَطُبِعَ في باكستان مرَّةً، وفي قطر مرَّةً أخرى على نفقةِ الشّيخ خليفة بن حمد آل ثاني (أمير دولة قطر).

([6]) سورة آل عمران، الآيتانِ 18-19.

([7]) انظر: الكِسَائيّ، عليّ بن حمزة. *معاني القرآن*. أَعَادَ بناءَهُ وَقَدَّمَ لَهُ د. عيسى شحاتة عيسى. دار قباء، القاهرة، 1998م، ص97.
وانظر: القُرْطُبِيّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد. *الجَامِعُ لأَحْكَامِ القُرْآنِ*. تحـــ. عبد الرَّزّاق المهديّ. دار الكتاب العربيّ، بيروت-لبنان، 1424هـــ-2004م، ج4، ص47.

([8]) الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. تحـــ. أحمد يوسف نجاتي ــ محمّد عليّ النّجّار. ط3، مطبعة دار الكتب المَصْرِيَّة، القاهرة، 1422هـــ-2001م، ج1، ص200.

([9]) الزَّجَّاج، أبو إسحاق. *معاني القرآن وإعرابه*. تحـــ. د. عبد الجليل عَبْدُه شلبي. ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـــ-1988م، ج1، ص386.

وها هُوَ ذَا الأَخْفَشُ يوردُ رأياً لابن عبّاس في كتابِهِ "معاني القُرآن"، في أثناءِ وقوفِهِ على تخريجِ الأحكامِ من آيةِ الوضوءِ في قولِهِ تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}**[10]، على قراءَةِ مَنْ جَرَّ {أَرْجُلِكُمْ}، بقولِهِ: «وقالَ بعضُهم: {وَأَرْجُلِكُمْ} على المَسْحِ؛ أَيْ: وامسحوا بِأَرجلِكم، وهذا لا يعرفُهُ النَّاسُ، قالَ ابن عبَّاس: المَسْحُ على الرِّجْلَيْنِ يُجْزِئُ»[11]؛ أي: يكفي ويغني عن الغسلِ، وهو تخريجٌ من ابن عبّاسٍ يقومُ على استقراءٍ نحْوِيٍّ بالعطفِ، دونَ استخدامِهِ للمصطلحِ، مع إِقْرَارِ الأَخْفَشِ بِأَنَّ هذا لا يعرفُهُ النَّاسُ، وهذا يدلُّ على أَنَّ اهتمامَ ابنِ عبّاسٍ بلغةِ العربِ ولهجاتِها وغريبِها كانَ اهتماماً كبيراً، وقد اتّضَحَ ذلكَ من خلالِ معالجتِهِ الظّواهرَ الإعرابيَّةَ، وربطِهِ –في هذه الآيةِ، وغيرُها كثيرٌ– بينَ حركاتِ الإعرابِ والمعنى المُرادِ توضيحُهُ.

ونرى أبا جعفر النَّحَّاس في كتابِهِ "معاني القرآن" يقعُ على رأيٍ لابن عبّاس خَرَّجَ فيه حُكْماً عَلَى تقديرِ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ قَدْ حَلَّ محلَّهُ المضافُ إليه، وكذلكَ دون استخدامِهِ للمصطلحات النَّحْويّة الّتي لم تكنْ قد وُضِعَتْ بعدُ في زمنِهِ، في أثناءِ استنباطِهِ الحُكْمَ الفقهيَّ من قولِهِ تعالى: **{وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ}**[12]، بقولِهِ: «وَرَوَى عطاءٌ الخراسانيُّ عن ابن عبّاس –وَذَكَرَ الآيَةَ–: حتّى تنقضيَ العدَّةُ، والتّقديرُ في اللُّغَةِ: حَتَّى يبلغَ فرضُ الكتابِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ الكتابُ بمعنى الفرضِ تمثيلاً»[13]، فعلى هذا الوجهِ يكونُ قد حَذَفَ المُضاف الّذي هو "فرض" وهو الفاعلُ في الأصل، وأقامَ المُضاف إليه الّذي هو "الكتاب" مقامَهُ، فارتفعَ على الفاعليّة، وهي قاعدةٌ نحويَّةٌ عُرِفَتْ بعدَ ذلكَ عِنْدَ النَّحْوِيِّيْنَ، ولها من الشّواهدِ الّتي تؤيِّدُها الكثيرُ، ومن ذلك مثلاً على سبيلِ المجاز، قولُهُ تعالى: **{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا}**[14]، على تقدير مضاف محذوف وهو كلمة "أهل"، حلَّ محلَّهُ المضاف إليه "القرية"، فانتصب مثلَهُ على المفعوليّة؛ ليكونَ التّقدير: "وَاسْأَلْ أَهْلَ القَرْيَةِ"[15].

ولابن عبّاس تخريجاتٌ كثيرةٌ شبيهةٌ بهذه الّتي وقفنا عندها، وسأكتفي بالإشارةِ إلى بعضِها على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، فمنها رأيُهُ في قولِهِ تعالى: **{وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ}**[16] بِأَنَّ "جبر" بمعنى "عَبْد" بالتّكبير، و"ميكا" بمعنى "عُبَيْد" بالتّصغير، فمعنى "جِبْرِيْل" عبدُ الله، ومعنى "ميكائيْل" عُبَيْدُ الله، وقالَ الماورديّ في تفسيرِهِ: «وليسَ لَهُ مِنَ المُفَسِّرينَ مخالفٌ»[17]، ورأيُهُ في قولِهِ تعالى: **{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}**[18] بِأَنَّ "كَانَ" زائدة، والمعنى: "أَنْتَ عليها"[19]، وَقَوْلُهُ في تفسير قولِهِ تعالى: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى}**[20]: لو قالوا: "نَعَمْ" لكفروا، يريدُ أَنَّ النَّفيَ إذا أُجِيْبَ عنه بـــ "نَعَم" كانت تصديقاً لَهُ، فَكَأَنَّهم أَقَرُّوا بِأَنَّهُ ليسَ بربِّهم[21].

([10]) سورة المائدة، الآية 6.

([11]) الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. ج1، ص277.

([12]) سورة البقرة، الآية 235.

([13]) النَّحَّاس، أبو جعفر. *مَعَاني القُرآن*. تحـــ. د. يحيى مُرَاد. دار الحديث، القاهرة، 1425هـــ–2004م، ج1، ص84–85.

([14]) سورة يوسُف، الآية 82.

([15]) النَّحَّاس، أَبُو جعفر. *إعراب القرآن*. تحـــ. الشّيخ خالد العلي. ط1، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 1427هـــ–2006م، ص460.

([16]) من قولِهِ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾. سورة البقرة، الآية 98.

([17]) الماورديّ، عليّ بن محمّد. *النّكت وَالعُيُون (تفسير الماورديّ)*. تحـــ. السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم. دار الكتب العلميَّة–مؤسَّسَة الكتب الثَّقافيَّة، بيروت–لبنان، د.ت، ج1، ص163.

([18]) سورة البقرة، الآية 143.

فهذه الشّواهِدُ –وغيرُها كثيرٌ– تثبتُ أَنَّ المناخَ الّذي عاشَهُ ابنُ عَبَّاس ارتقى بِهِ إلى مرتبةٍ جعلتْهُ يقودُ حلقاتِ العلمِ الّتي اختلفَ إليها علماءُ العربيَّةِ الأوائلُ، وأخذوا فيها تفسيرَ غريبِ القُرآنِ، ولعلَّ هذا وغيرَهُ يؤكِّدُ أَنَّ ما أَلَّفَهُ النَّحْويُّونَ من كتبٍ في معاني القرآنِ –سواءٌ ما وصلَ منها إلينا، أو ما لم يصلْ– إنَّما هي تطويرٌ لمجالسِ ابن عبَّاس وحلقاتِ علمِهِ، مُستفيدينَ مِنْ تفسيرِهِ لكثيرٍ من الحالاتِ الإعرابيَّةِ في قراءاتِهِ القُرآنيَّةِ[22].

ب– أَثَرُ مُجَاهِدٍ:

ومن اعتماد أصحابِ كتبِ معاني القُرآنِ الكبيرِ على مُجاهد في تأويلاتِهِم وتخريجاتِهِم وتوجيهاتِهِم ما نَقَلَهُ الفَرَّاءُ عَنْهُ في قولِهِ تعالى: **{هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}**[23] بِأَنَّهُ اختارَ قِرَاءَةَ **{وَأُخَرُ}**، بقولِهِ: «كَأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الأزواجَ لا تكونُ مِنْ نَعْتٍ واحدٍ، وإذا كانَ الاسم فعلاً[24] جاز أَنْ يُنْعَتَ بالاثنَيْنِ والكثيرِ، كقولك فى الكلام: عذابُ فلانٍ ضروبٌ شَتَّى وَضَرْبَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَهَذَا بَيِّنٌ؛ وإن شئت جَعَلْتَ الأَزاوجَ نعتاً للحَمِيمِ وللغسَّاقِ ولآخَرَ، فَهُنَّ ثلاثة، وَأَنْ تجعلَهُ صِفَةً لواحدٍ أَشْبَهُ، وَالَّذِي قَالَ مُجَاهِدٌ جَائِزٌ، وَلَكِنِّي لاَ أَسْتَحِبُّهُ لاتِّبَاعِ العَوَامِّ وبيانِهِ فِي العَرَبِيَّةِ»[25]، ومن تخريجاتِ مُجاهِد النَّحْويَّةِ على سبيل المثالِ لا الحصرِ أيضاً، ما ذهبَ إليه في قولِهِ تعالى: **{وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}**[26] من أَنَّ مفعول يعلمون محذوفٌ للعلمِ بِهِ، وتقديرُه: يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَتُوْبُ عَلَى مَنْ تَابَ[27]، وكذلك قولُهُ بإعادة ضمير النّصب "الهَاء" في **{يَعْرِفُونَهُ}** عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، في قولِهِ تعالى: **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ}**[28]، وكذلك تفسيرُهُ لــ {السُّفَهَاءَ} من قولِهِ تعالى: **{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}**[29] بالنِّساءِ[30]، ويُعَلِّقُ على هذا الرّأي السَّمِيْنُ الحَلَبِيُّ بقولِهِ: «وَالسُّفهاءُ جَمْعُ سَفِيْه، وَعَنْ مُجَاهِد: المرادُ بالسُّفَهَاءِ النِّسَاءُ، وَضَعَّفَه بعضُهم بِأَنَّ فَعِيْلَة إِنَّمَا تُجْمَعُ عَلَى فَعَائِل أو فَعِيلات، قَالَهُ ابنُ عطيَّة[31]، وقد نَقَلَ بعضُهم أَنَّ سَفِيْهَة تُجْمَعُ عَلَى سُفَهَاء كَالمُذَكَّرِ، وَعَلَى هَذَا لاَ يَضْعُفُ

([19]) الحَلَبِيّ، أحمد بن يوسف. *الدُّرُّ المَصُون في عُلُومِ الكِتَابِ المَكْنُون*. تحـــ. د. أحمد محمّد الخرّاط. ط2، دار القلم، دمشق، 1424هـــ–2003م، ج2، ص154.

([20]) سورة الأعراف، الآية 172.

([21]) الحَلَبِيّ، أحمد بن يوسف. *الدُّرُّ المَصُون في عُلُومِ الكِتَابِ المَكْنُون*. ج5، ص154.

([22]) الحلوانيّ، د. محمّد خير. *المفصّل في تاريخ النَّحْو العربيّ*. ط1، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت–لبنان، د.ت، ص78.

([23]) سورة ص، الآية 57–58.

([24]) أَيْ: مصدراً، وَهُوَ مِنْ مُصطلحاتِ الكِسائِيِّ والفَرَّاءِ النَّحْوِيَّةِ.

([25]) الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. ج2، ص410–411.

([26]) سورة آل عمران، الآية 135.

([27]) الحَلَبِيّ، أحمد بن يوسف. *الدُّرُّ المَصُون في عُلُومِ الكِتَابِ المَكْنُون*. ج3، ص397.

([28]) سورة البقرة، الآية 146.

([29]) سورة النِّساء، الآية 5.

([30]) انظر: ابن جبر، مُجاهد. *تفسير مُجاهد*. تحـــ. عبد الرّحمن الطّاهر بن محمّد السّورتي. ط1، مطابع الدّوحة الحديثة، الدّوحة–قطر، 1396هـــ–1976م، ص144.

وانظر: الطَّبَريّ، محمّد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. دار الفكر، بيروت، 1405هـــ، ج4، ص248.

([31]) قالَ ابن عطيّة في تفسيره: «وَقَوْلُ مَنْ خَصَّها بالنِّساءِ يَضْعُفُ مِنْ جِهَةِ الجَمْعِ؛ فَإِنَّ العَرَبَ إِنَّما تجمعُ فَعِيلة على فَعَائل وفَعِلات».
انظر: ابن عطيّة، أبو محمّد عبد الحقّ. *المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ط1، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، 1423هـــ–2002م، ص401.

قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وجمعُ فَعِيلة الصِّفَةِ عَلَى فُعَلاَء –وَإِنْ كَانَ نادراً– إِلاَّ أَنَّهُ نُقِلَ فِي هَذَا اللَّفْظِ خُصُوصاً، وتَخْصِيْصُ ابن عطيّة جَمْعَ فَعِيلة بِفَعَائِل أَوْ فَعِيلات ليس بظاهرٍ؛ لأَنَّهَا يَطَّرِدُ فيها أيضاً "فِعَال"، نَحْوَ: كَرِيْمَة وكِرَام، وظَرِيْفَة وظِرَاف، وكذلكَ إِطْلاَقُهُ فَعِيلَة، وَكَانَ مِنْ حقِّهِ أَنْ يُقَيِّدَهَا بِأَلاَّ تكونَ بمعنى مَفْعُولَة تَحَرُّزاً مِنْ قَتِيْلَة، فَإِنَّهَا لاَ تُجْمَعُ عَلَى فَعَائِل»[32].

وَهَذِه التَّخْرِيجَاتُ وَالتَّأْوِيلاَتُ الَّتِي وَقَفْنَا عِنْدَهَا –وَغَيْرُها كَثِيرٌ جِدًّا– تُلاَمِسُ روحَ النَّحْوِ ومادَّتَهُ الخامَ، وَتُنْبِي بِأَنَّ شكلاً من أشكالِ النَّحْوِ لازمَ التَّفَاسيرَ مِنْ بدايتِها على يدِ الصّحابةِ والتّابعينَ؛ فكتبُ معاني القرآنِ وإعرابِهِ مشحونةٌ بمثلِ هذه التأويلاتِ والتعليلاتِ لابن عبّاس ومُجاهد وغيرِهما من الصحّابةِ والتّابعين الكِرَامِ[33]، وقد أسهمتْ بقوّةٍ في رفدِ مَنْ جاءَ بعدهم من النَّحْوِيِّينَ واللُّغويِّين والمُفَسِّرين بمادَّةٍ ثرّةٍ من أنواعِ علومِ اللُّغةِ والشّريعةِ، وكانَ لأصحابِ تفاسيرِ معاني القرآنِ وإعرابِهِ الحظُّ الأوفرُ منها لشغفِهم الكبيرِ باللُّغةِ العربيّةِ وفنونِها.

2– أَثَرُ الطَّبَقاتِ الأُولَى مِنَ النَّحْوِيِّينَ (البَصْرِيِّينَ، وَالكُوفِيِّين):

وَلَوِ اقْتَرَبْنَا أَكْثَرَ مِمَّنْ كَانَ لَهُمْ أَسْبَقِيَّةُ وَضْعِ مَبَادِئِ عِلْمِ النَّحْوِ وَأُصُولِهِ وقواعدِهِ الأُولَى، مِمَّنِ اصْطُلِحَ عَلَى تَسْمِيَتِهِمْ بِطَبَقَاتِ البَصْرِيَّةِ السَّبْعِ وَطَبَقَاتِ الكُوفِيَّةِ الخَمْسِ، وَمِمَّنْ سَبَقَهُمْ، وَنَقَّبْنَا عَنْ آثَارِهِمْ فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ، لَوَجَدْنَا مِنَ العَسِيرِ عَلَينا حصرَها وجمعَها في هذا المكان؛ لِمَا اشتملتْ عليه هذه الكتبُ من اعتمادٍ غيرِ عاديٍّ على آراءِ أصحابِها ومذاهبِهم وتخريجاتهم وتأويلاتهم وترجيحاتهم، بغيةَ الخروجِ بالوجهِ الأمثلِ لِمَا ذهبَ إليهِ كُلُّ مُجْتَهِدٍ منهم على حِدَةٍ؛ ولأنَّ هذا العملَ يحتاجُ ضَبْطُهُ إِلَى مُجَلَّدَاتٍ ضَخْمَةٍ، آثَرْتُ أَنْ أعرضَ بعضاً مِنْ آثارِهم المُتَفَرِّقَةِ فِي تِلْكَ الكُتُب، مُراعياً التّاريخَ الزّمنيَّ لِوَفِيَّاتِ أصحابِها، تماشياً مع الهدفِ الّذي من أجلِهِ عُقِدَ هذا البحثُ، وهو إظهار الجهودِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الأولى لأولئكَ العُلماءِ، وبيانُ أثرِها في كتبِ معاني القرآنِ وإعرابِهِ، من حيثُ إبرازُ دورِ النَّحْوِ في توخّي المعاني والوقوفِ على الغاياتِ والأهداف والمقاصدِ والأغراضِ، لا من حيثُ السّبيلُ الّذي اعتمدَهُ كلٌّ منهم أو الأدواتُ التي اتّكأ عليها، أو مصادرُ الاحتجاجِ لديه في أثناءِ عمليّة ضبطِ قواعدِهِ ورسمِ حدودِها؛ إذْ إنَّ هذا الأمر –كما أشرْتُ– ليس من أهدافِ هذا البحثِ.

أ– أَثَرُ أَبِي الأَسودِ الدُّؤَلِيِّ:

وإذا بَدَأْتُ بأبي الأسودِ الدُّؤَلِيِّ –النَّحْوِيِّ الأَوَّلِ على أَصَحِّ الرِّوايَاتِ– أجدني لاَ أعثرُ له على مقعدٍ في كتبِ معاني القُرآنِ وإعرابِهِ –كما هو الحالُ عِنْدَ مَنْ سَبَقَهُ– وقد يكونُ السَّبَبُ في ذلكَ أَنَّ حرصَهُ الشَّديدَ وغيرتَهُ البالغةَ على لُغَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ، جَعَلاَهُ يُعْنَى بقراءَةِ القُرآنِ، ورصدِ لحنِ النَّاسِ فيها ودفعِهِ عنها، إضافةً إلى انشغالِهِ باستنباطِ الضَّوَابِطِ الإِعْرَابِيَّةِ الأُولَى الَّتِي تُحَدِّدُ الرَّفعَ والنّصْبَ والجرَّ[34]، وبنقطِ المصحفِ الشّريفِ بداعي التّمييزِ بين الكلماتِ، ومعرفةِ الفاعلِ والمفعولِ والمضافِ وغير ذلكَ.

وَقَدْ عَثَرْتُ على ثلاثةِ أبياتٍ لَهُ، استشهدَ الفرّاءُ بواحدٍ منها، والزّجاجُ باثنين:

([32]) الحَلَبِيّ، أحمد بن يوسف. *الدُّرُّ المَصُون في عُلُومِ الكِتَابِ المَكْنُون*. ج3، ص579–580.

([33]) من أمثالِ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ وأُبَيّ بن كعب من الصّحابةِ، والحَسَنِ البصريِّ والسّديّ وقتادة وسفيان الثّوريّ ومقاتل وعبد الرّزّاق الصّنعانيّ من التّابعين ولهؤلاءِ الستّةِ كتبٌ في التّفسيرِ مطبوعةٌ سُمِّيَتْ بِأَسْمَائِهِمْ.

([34]) حتحات، د. أمان الدّين محمّد. *الأثر الفقهيّ في استدلال النّحاة*. ط1، دار النّهج، حلب، 1428هـ–2007م، ص149.

أمّا الفرّاءُ فقد استشهدَ بقولِهِ[35]:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلاَ ذَاكِرِ اللهَ إِلاَّ قَلِيْلاَ

في إثباتِ حُكْمٍ نَحْوِيٍّ ذَهَبَ إليه في أثناءِ تفسيرِهِ لقولِهِ تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}**[36]؛ حيثُ يقولُ: «وَلَوْ نَوَّنْتَ فِي (ذَائِقَةٌ) وَنَصَبْتَ (المَوْتَ) كانَ صَوَاباً، وأكثرُ مَا تختارُ العربُ التَّنْوِيْنَ وَالنَّصْبَ في المُستقبل، فإذا كان معناه مَاضياً لم يكادوا يقولون إلاّ بالإضافة، فأمَّا المستقبل فقولك: أنا صَائمٌ يومَ الخميسِ، إذا كانَ خميساً مستقبلاً، فَإِنْ أخبرْتَ عَنْ صومِ يَوْمِ خميسٍ مَاضٍ قُلْتَ: أَنَا صَائِمُ يَوْمِ الخميسِ، فهذا وَجْهُ العَمَلِ، ويختارون أيضاً التَّنْوين إذا كان مع الجَحْدِ، من ذلكَ قولُهم: ما هُوَ بتاركٍ حقَّهُ، وَهُوَ غَيْرُ تاركٍ حقَّهُ، لا يكادون يتركون التّنوين، وَتَرْكُهُ كَثِيْرٌ جَائِزٌ، وينشدونَ قَوْلَ أبي الأسود –وَذَكَرَ البَيْتَ السَّابقَ– فَمَنْ حَذَفَ النُّوْنَ وَنَصَبَ، قَالَ: النِّيَّةُ التَّنوينُ مَعَ الجَحْدِ، وَلَكِنِّي أَسْقَطْتُ النُّوْنَ للسَّاكِنِ الّذي لَقِيَهَا، وَأَعْمَلْتُ مَعْنَاهَا، وَمَنْ خَفَضَ أَضَافَ»[37].

وَأَمَّا البيتانِ اللَّذانِ استشهدَ بهما الزَّجَّاجُ، فَكَانَا لبيانِ معنى آيتيْنِ في أثناءِ تفسيرِهِ لهما، لا لاستنباطِ حُكْمٍ نَحْوِيٍّ منهما كما فعلَ الفرّاءُ؛ لذلكَ لا أرى سبباً لذكرهما هنا[38].

وأمّا أبو عُبيدة فقد استشهدَ بشعرِهِ سبعَ مرّاتٍ[39]؛ ستَّاً منها لبيانِ معنى الكلماتِ، ومرّةً واحدةً لاستنباطِ حُكْمٍ صرفيٍّ من قولِهِ تعالى: **{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا}**[40]، يقولُ: «إذا استفهموا بـــ رَأَيْتَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدَعُها على حالِها، كَأَنَّهُ لَمْ يعدَّهُ أَحْدَثَ فيها شيئاً كَمَا أَحْدَثَ في يَرَى، فيبقي هَمْزَتَها، ومنهم مَنْ يَرَى أَنَّهُ أَحْدَثَ فيها شيئاً، فَيَدَعُ هَمْزَتَها، قَالَ أَبُو الأَسودِ[41]:

أَرَيْتَ امْرَءاً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخِذْنِي خَلِيْلاَ»[42].

ب– أَثَرُ الطَّبَقَةِ الأُولَى مِنَ البَصْرِيِّينَ[43]:

وإذا ما وقفنا عندَ أَصحابِ الطّبقةِ الأولى من البصريِّينَ نجدُ الاعتمادَ عليها يكادُ يكونُ نادراً ما خلا بعضَ الاستعاناتِ على ضبطِ معنىً، أو الإشاراتِ إلى قراءةٍ قرآنيَّةٍ أُخِذَتْ عنهم، دونَ الإفادةِ من جهودِهم النَّحْويَّةِ

([35]) أوردَ الفرَّاء كلمة "ذَاكِرِ" بالجرِّ عطفاً على "مُسْتَعْتِبٍ"، وروايةُ الدِّيوانِ بالنّصبِ "ذَاكِرَ" عطفاً على "غَيْرَ". انظر: الدُّؤَلِيُّ، أبو الأسود. *الدِّيوان (صنعةُ أبي سعيد الحسن السُّكَّري)*. تحـــ. الشّيخ محمّد حسن آل ياسين. ط2، دار الهلال، بيروت–لبنان، 1418هـــ–1998م، ص54/ وهو من شواهدِ سيبويْهِ بجرِّ كلمةِ "ذَاكِرِ". انظر: سِيْبَوَيْهِ، عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ. *الكِتَاب*. تحـــ. عبد السَّلاَم محمَّد هارون. ط1، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج1، ص169/ واستشهدَ بِهِ أبو عُبَيْدة في "مجاز القرآن"، بنصبِ كلمةِ "ذَاكِرَ"، ولكنْ في سياقٍ آخر، وفي تفسيرِ آيةٍ أخرى، هي قولُهُ تعالى: **{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ}** [سورة يوسف، الآية 25]؛ مُفَسِّراً "ألفيا" بمعنى "وجدا"، مُستدِلاً ببيتِ أبي الأسود. انظر: أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى. *مجاز القرآن*. تحـــ. محمّد فؤاد سزكين. ط2، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1401هـــ–1981م، ج1، ص307.

([36]) سورة الأنبياء، الآية 35.

([37]) الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. ج2، ص202.

([38]) للاستزادة انظر: الزَّجَّاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص181 / ج2، ص83.

([39]) انظر: أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى. *مجاز القرآن*. ج1، ص48–133–307–361 / ج2، ص11–148–186.

([40]) سورة مريم، الآية 77.

([41]) لَمْ أَبْلُهُ: لَمْ أَخْتَبِرْهُ. الدُّؤَلِيُّ، أبو الأسود. *الدِّيوان*. ص53.

([42]) أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى. *مجاز القرآن*. ج2، ص11.

([43]) وهم: نصر بن عـــاصم (–89هـــ)، وعنبسة بن معـــدان الفـــيل (–100هـــ)، وابن هرمز (–117هـــ)، ويحيى بن يعمر(–129هـــ).

الأخرى[44]، كما فَعَلَ النّحّاسِ مثلاً، في أثناءِ تفسيرِهِ للمُحْكَمَاتِ مِنْ قولِهِ تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}**[45]؛ إِذْ يقولُ: «قَالَ يَحْيَى بنُ يعمرَ: المُحْكَمَاتُ: الفَرَائِضُ، والأَمْرُ، والنَّهْيُ، هُنَّ عِمَادُ الدِّيْنِ، وَعِمَادُ كُلِّ شَيْءٍ أُمُّهُ»[46].

جـــ- أَثَرُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ البَصْرِيِّينَ[47]:

عَلَى حِيْنَ كَانَ استشهادُهم برجالِ الطّبقةِ الثّانيةِ من البصريِّينَ بكثرةٍ، وكانَ يأخذُ عدَّةَ طرقٍ: منها تفسيرُ معنى كلمةٍ من الكلمات، ومنها الإشارةُ إلى قراءةٍ قرآنيَّةٍ رُوِيَتْ عن أحدهم، ومنها إثباتُ حُكْمٍ نحويٍّ يحتجُّونَ له بآرائهم، ومنها تخريجٌ صرفيٌّ أو بلاغيٌّ، وَمِنْها غيرُ ذَلِكَ.

وَمَا يَهمُّني هُنا هُوَ التَّمْثِيلُ لِلْحُجَجِ النَّحْوِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ الفَرَّاءُ مِن احتجاجٍ بِعَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي إِسْحَاقَ الحَضْرَمِيِّ، فِي تصويبِ رَأْيِهِ وروايتِهِ، فِي أَثْنَاءِ تَخْرِيجِهِ لِشَاهِدِ الفَرَزْدَقِ -مِنْ حَيْثُ جوازُ عطفِ المرفوعِ على المنصوبِ-:

وَعَضُّ زَمَانٍ يا بنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إِلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ[48]

حيْثُ أجازَ الفرَّاءُ عَطْفَ "مُجَلَّفُ" على "مُسْحَتاً" على تقدير "أَوْ هُوَ مُجَلَّفٌ"، فقيلَ لهُ: إنَّ بَعْضَ الرُّوَاةِ يَقُولُ: "مَا بِهِ مِنَ المَالِ إِلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ"، فَأَنْكرَ الفرَّاءُ هذه الرِّوايةَ، قائلاً: «مَرَّ الفرزدقُ بعبدِ اللهِ بنِ أبي إسحاقَ الحضرميِّ النَّحْوِيِّ، فأنشده هذه القصيدة: عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ، حتّى انتهى إلى هذا البيتِ:

وَعَضُّ زَمَانٍ يا بنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إِلاَّ مُسْحَتٌ أَوْ مُجَلَّفُ[49]

فقالَ عبدُ اللهِ للفرزدق: عَلاَمَ رَفَعْتَ؟ فَقَالَ لَهُ الفرزدقُ: على ما يَسُوؤُكَ»[50].

وما حكاهُ الكسائيُّ في قولِهِ تعالى: **{تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}**[51]، عَنْ عِيْسَى بنِ عُمَرَ: **{ضِئْزَى}**، وَعلَّقَ عليهِ بقولِهِ: «ضَازَ يضيزُ ضِيزى، وضَازَ يضُوزُ ضُوزى، وضَأَزَ يَضْأَزُ ضَأْزاً، إذا ظلمَ وتعدَّى وبخسَ وانتقصَ»[52]،

([44]) قد يكونُ السَّبَبُ في ذلكَ هو انشغالَ رجالِ هذهِ الطّبقةِ بنقطِ المصحفِ وضبطِ قراءاتِهِ، أو عدمَ جمعِهم قواعدَهم في كتابٍ مُحَدَّدٍ ليفيدوا منه، على عكسِ الطبقاتِ الأخرى من النَّحْوِيِّينَ الّذين أخذوا عنهم قواعدَهم مُشافهةً ومُجالسةً بالتّلقّي، وبناءً على ذلكَ يكونُ أصحابُ كتبِ معاني القرآنِ قد استفادوا من رجالِ هذه الطّبقةِ بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ، من خلالِ الاستفادةِ من تلامذتِهم.

([45]) سورة آل عمران، الآية 7.

([46]) النَّحَّاس، أبو جعفر. *مَعَانِي القُرآن*. ج1، ص120.

([47]) وهم: ابن أبـــي إسحاق (-117هـــ)، وعيسى بن عـــمر (-149هـــ)، وأبو عمرو بن العـــلاء (-154هـــ).

([48]) روايةُ الدِّيوان بشرحِ إيليّا الحاوي، وبشرحِ علي فاعور: "مُجَرَّفُ، بدلاً من "مُجَلَّفُ"؛ والمسحتُ: ما دخله الغشُّ والحرامُ والحيلة، والمجرّفُ: المُستأصلُ البائدُ. انظر: الفرزدق، هَمَّام بن غالب. *الدِّيوان*. شرح إيليّا الحاوي. ط1، دار الكتاب اللّبنانيّ - مكتبة المدرسة، 1983م، ج2، ص117 / وشرح علي فاعور. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1407هـــ-1987م، ص386 / ولمْ أجدْ هذه القصيدة في نسخة الدِّيوان الّذي أملاه محمّد بن حبيب عن الأعرابيّ (العربية الفرنسية) الّتي طُبِعَتْ في باريس سنة 1870م.

([49]) هذه روايةٌ أُخْرى في البيتِ، فيها رفعُ "مُسْحَتٌ"، وقد خُرِّجَ على أَنَّ "لَمْ يَدَعْ" فيها معنى لَمْ يتقارَّ، ولمْ يبقَ، فجاءَ الرّفعُ لهذا، ويريدُ الفرَّاءُ إدحاضَ ما رُوِيَ لَهُ في البيتِ السّابق، وَأَنَّهُ خلافُ الرِّوايةِ. انظر: الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. ج2، (الحاشية رقم 1)، ص183 / وانظر: ابن مَنْظُور، مُحَمّد بن المُكَرَّم. *لسان العرب*. تحـــ. عبد الله علي الكبير ــ محمّد أحمد حسب الله ــ هاشم محمّد الشّاذليّ. دار المعارف، القاهرة، د.ت، (سحت)، ج3، ص1949 / وانظر: البغداديّ، عبد القادر بن عمر. *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب*. تحـــ. محمّد نبيل طريفي - إيميل بديع اليعقوب. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م، ج5، ص145.

([50]) الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. ج2، ص182-183.

([51]) سورة النَّجْم، الآية 22.

وكذلك ما أوردَهُ الأخفشُ من رأيٍ لعيسى في {**هُزُوًا**} مِنْ قولِهِ تعالى: **{قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}**[53] بقولِهِ: «زَعَمَ عيْسَى بنُ عُمَرَ أَنَّ كُلَّ اسمٍ على ثلاثةِ أحرفٍ أَوَّلُهُ مَضْمومٌ، فَمِنَ العَرَبِ مَنْ يُثَقِّلُهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يُخَفِّفُهُ، نَحْوَ: {اليُسُر} و{العُسُر}[54]، والرُّحُم[55]، وقال بعضُهم {عُذْرًا} خَفِيْفَةً {أَوْ نُذُرًا}[56] مُثَقَّلَةً؛ وهي كثيرةٌ، وبها نقرأُ، وهذه اللُّغَةُ الّتي ذَكَرَهَا عيسى بنُ عُمَرَ يَتَحَرَّكُ أَيْضاً ثَانِيْهِ بالضَّمِّ»[57]، وقد ذكرَ ابن خَالَوَيْهِ في "مُختصر شواذّ القرآن" قراءةَ مَنْ قرأَ: **{يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**[58] بضمّتَيْنِ[59]، وَذَكَرَ فِي "الحُجَّة" قِرَاءَةَ عِيسى بن عُمَر لِقَولِهِ تَعَالَى: **{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}**[60] بِضَمَّتَيْنِ أَيْضاً[61].

وهذا أبو عبيدة يعتمدُ على أبي عَمْرِو بنِ العَلاَءِ في تخريجِهِ لمعنى {كِتَابَ} من قولِهِ تعالى: **{كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}**[62]، بقولِهِ: «أَيْ كَتَبَ اللهُ عليكم، والعَرَبُ تَفْعَلُ مثلَ هذا، إذا كانَ فِي موضعِ "فَعَلَ" أو "يَفْعَلُ"، نَصَبُوْهُ، عن أبي عَمْرِو بنِ العَلاَءِ، قَالَ كَعْبُ بنُ زُهَيْر:

تَسْعَى الوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقِيْلَهُمُ إِنَّكَ يَا بْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ[63]

قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرِو بنَ العَلاَءِ يقول: مَعْنَاهَا: وَيَقُوْلُوْنَ، وكَذَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا المَنْصُوْبِ كَانَ في موضعِ فَعَلَ أو يَفْعَلُ، كقولِكَ: صَبْرًا وَمَهْلاً وَحِلًّا؛ أَيْ: اِصْبِرْ، وَامهلْ، وَتَحَلَّلْ»[64]، وفي ذلكَ إشارةٌ منه إلى المصدر النّائب

([52]) انظر: الكِسَائيّ، عليّ بن حمزة. *معاني القرآن*. ص238.

([53]) سورة البقرة، الآية 67.

([54]) ﴿اليُسُر﴾ و﴿العُسُر﴾ قد يكونانِ إشارةً إلى قولِهِ تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، الآية 185]، أو قولِهِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الشّرح، الآية 5]. وهي قراءةُ: أبي جعفر ويحيى بن وثّاب وابن هرمز وعيسى ابن عمر وأبي عمرو. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ط1، دار سعد الدّين، دمشق، 1422هـ–2002م، ج1، ص256 / ج10، ص490.

([55]) ﴿الرُّحُم﴾ إشارةٌ إلى قولِهِ: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [سورة الكهف، الآية 81]. وهي قراءةُ: ابن عامر وأبي عمرو من رواية عبّاس بن الفضل وعليّ بن نصر، وقراءةُ هارون وأبي جعفر ويعقوب وأبي حاتم. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ج5، ص287.

([56]) إشارةٌ إلى قولِهِ تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾. سورة المرسلات، الآية 6. وهي قراءةُ: أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبي بكر عن عاصم، ومحمّد بن حبيب عن الأعشى، وعبد الحميد بن صالح البرجميّ عن أبي بكر وحمّاد ويحيى عنه، وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وأبي حيوة وعيسى والحسن عن يعقوب، وزيد عن عليّ، وشيبة، و"نُذُرًا" بالضمّ: هو مصدر، أو جمع نذير بمعنى إنذار، وهي لغةُ الحجازيّين، وبالسّكون لغةُ التّميميّين. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ج10، ص237.

([57]) الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. ج1، ص110.

([58]) ابنُ خَالَوَيْهِ، الحسينُ بنُ أَحْمَدَ. *مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع*. مكتبة المُتنبّي، القاهرة، د.ت، ص19.

([59]) وهي قراءة: أبي جعفر، ويحيى بن وثّاب، وابن هرمز، وعيسى بن عمر. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ج1، ص256.

([60]) سورة المُلك، الآية 1.

([61]) ابنُ خَالَوَيْهِ، الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ. *الحُجَّةُ في القِرَاءَاتِ السَّبْعِ*. تحـــ. د. عَبْد العَال سَالِم مَكْرَم. ط1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت–لبنان، 1421هـــ–2000م، ص114.

([62]) سورة النِّساء، الآية 24.

([63]) ويُرْوَى أيضاً: "بِجَنْبَيْهَا"، ويُرْوَى: "وَقَوْلُهُمْ"، ويُرْوَى: "وَقِيْلُهُمْ". ابن زُهَيْر، كعب. *الدِّيوان*. صنعةُ الإِمَامِ أَبِي سَعِيْدٍ الحَسَنِ بنِ الحُسَيْنِ العَسْكَرِيِّ. قدَّمَ له حنَّا نَصر الحِتّي. ط1، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1414هـــ–1994م، ص37.

([64]) أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى. *مجاز القرآن*. ج1، ص122–123.

عن فعلِهِ في باب المفعولِ المطلق، وكذلك ما أوردَهُ الفرَّاءُ في جوابِ أبي عمرِو بنِ العَلاَءِ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ إِعرابِ الفاءِ في قولِهِ تعالى: **{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا}**[65]، فقال: جوابٌ للجزاءِ، قَالَ[66]: قُلْتُ: إِنَّها {أَنْ تَأْتِيَهُمْ} مفتوحة؟ قَالَ: فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ، إِنَّمَا هِيَ {إِن تَأْتِهِمْ}[67]، وعَلَّقَ الفَرَّاءُ بقولِهِ: «وَالجَزْمُ جائزٌ، تجعلُ: هَلْ ينظرونَ إِلاَّ السَّاعَةَ مُكْتَفِيَاً[68]، ثُمَّ تبتدِئُ: إِنْ تَأْتِهِمْ، وَتجيئُها بالفاءِ عَلَى الجَزَاءِ »[69]، وأيضاً ما نَقَلَهُ أبو الحسنِ الأخفشُ عن أبي عمرٍو، في أثناءِ تحليلِهِ للآيتينِ الثانيةِ والخمسين والثالثةِ والخمسين من سورةِ المائدة بقولِهِ: «**{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا}**[70]: نصبٌ؛ لأَنَّهُ معطوفٌ على قولِهِ: **{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ}**[71]، وَقَدْ قُرِئَ رفعاً على الابتداءِ[72]، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: النَّصْبُ مُحَالٌ؛ لأَنَّهُ لاَ يَجُوْزُ: وَعَسَى اللهُ أَنْ يَقُوْلَ الَّذِيْنَ آمَنُوا، وَإِنَّمَا ذَا: عَسَى أَنْ يَقُوْلَ، يَجْعَلُ: أَنْ يَقُوْلَ معطوفاً على ما بَعْدَ عَسَى، أَوْ يَكُوْنُ تَابِعَاً، نَحْوَ قَوْلِهِمْ: أَكَلْتُ خُبْزَاً وَلَبَنَاً»[73]، في حين ذَكَرَ أَبُو عليّ الفارسيُّ فِي حُجَّتِهِ أَنَّ أَبا عَمْرو بنَ العلاءِ قَرَأَ {وَيَقُوْلَ} بِالنَّصْبِ والرَّفْعِ[74].

ء- أَثَرُ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ البَصْرِيِّينَ[75]، وَالأُولَى مِنَ الكُوفِيِّينَ[76]:

وإذا ما وصلنا إلى الطّبقةِ الثّالثةِ مِنَ البَصْرِيِّينَ، وَالأُولَى مِنَ الكُوفِيِّينَ، نجدُ أَنَّ دائرةَ الاستشهادِ بهؤلاءِ الرِّجالِ تأخذُ بِالاتِّساعِ؛ لقربِ عصرهم ودنوّهِ من أصحابِ معاني القرآنِ وإعرابِهِ، حتَّى إنَّ كثيراً منهم قد عاصروا رجالَ هاتين الطّبقتين وكانوا تلامذةً عند بعضهم، ومن الاستشهاداتِ بهذه الطّبقةِ ما نَقَلَهُ أبو عُبَيْدَةَ عن الأَخْفَشِ الأَكْبَرِ، في أثناءِ تدبُّرِهِ معنى قولِهِ تعالى: **{إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}**[77]، بقولِهِ: «زَعَمَ أَبُو الخَطَّابِ أَنَّهُ سَمِعَ قوماً مِنْ بني كنانةَ وغيرِهم يرفعونَ الاثنَيْنِ في مَوْضِعِ الجَرِّ وَالنَّصْبِ»[78]، وما ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ عنه أيضاً نَقْلاً عن سيبَوَيْهِ، في تخريجِهِ لكلمةِ {سَلَامًا}، مِنْ قولِهِ عزَّ وجلَّ: **{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}**[79]، بقولِهِ: «قالَ سيبويْهِ: زَعَمَ أبو

([65]) سورة محمّد، الآية 18.

([66]) ويقصد أبا جعفر الرّؤاسيّ، فهو الّذي سألَ ابن العلاء عن هذا الإعراب.

([67]) وهي قراءةُ: أَبي جعفر الرؤاسيّ عن أهلِ مكّة، وأبي عمرٍو بروايةِ الرّؤاسيّ، وأُبَيٍّ بن كعب وأبي الأشهب وحميد، وهي كذلكَ في بعضِ مصاحفِ الكوفيِّين بِسِنَّةٍ واحدةٍ. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ج9، ص18.

([68]) إشارةٌ إلى أَنَّهُ على هذه القراءةِ يكونُ الوقفُ على السَّاعة.

([69]) الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. ج3، ص61.

([70]) سورة المائدة، الآية 53. وقرأها بالنّصبِ: أبو عمرٍو، ويعقوب، واليزيديّ، وابن أبي إسحاق، وسهل. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ج2، ص293.

([71]) سورة المائدة، الآية 52.

([72]) وقرأها بالرفعِ: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، هي رواية نصر عن أبي عمرو، وابن أبي إسحاق. انظر: الخَطِيب، د. عَبْد اللَّطِيف. *مُعْجَمُ القِرَاءَاتِ*. ج2، ص292.

([73]) الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. ج1، ص283.

([74]) الفارسيُّ، أبو عليّ. *الحُجَّةُ للقُرَّاءِ السَّبْعَةِ (أَئِمَّةِ الأَمْصَارِ بِالحِجَازِ وَالعِرَاقِ وَالشَّامِ الَّذِيْنَ ذَكَرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ابنُ مُجَاهِدٍ)*. تحـ. بدر الدِّين قهوجي – بشير جويجاتي. راجعَهُ ودَقَّقَهُ عبد العزيز رباح – أحمد يوسُف الدّقّاق. ج3، ط1، دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ، دمشق، 1407هـ-1987م، ص229.

([75]) وهم: الأَخْفَش الأكبر (-177هـ)، والخليل بن أحمد (-174هـ)، ويونس بن حبيب (-182هـ).

([76]) وهما: أبو جعفر الرّؤاسيّ (-187هـ)، ومعاذ الهرّاء (-187هـ).

([77]) سورة طه، الآية 63.

([78]) أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى. *مجاز القرآن*. ج2، ص21.

([79]) سورة الفرقان، الآية 63.

الخَطَّاب أَنَّ مِثْلَهُ قولُكَ للرَّجُلِ: سَلاَمَاً، تُرِيْدُ: تَسَلُّمَاً مِنْكَ، كَمَا قُلْتَ بَرَاءَةً مِنْكَ، قالَ: وَزَعَمَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةِ –فيما زَعَمَ– مَكِّيَّةٌ، ولَمْ يُؤْمَرِ المُسلمونَ يومَئذٍ أَنْ يُسَلِّمُوا على المُشركينَ، ولَكِنَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَسَلُّمَاً، وَلاَ خَيْرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَلاَ شَرَّ»[80].

أَمَّا الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ وَيُونُسُ بنُ حَبِيب، فقد كانَ لهما الأثرُ الأَكْبَرُ فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ، مِنْ خِلاَلِ كَثْرَةِ اعتمادِ أصحابِ هذه الكتبِ على توجيهاتِهما النَّحْوِيَّةِ وآرائِهما، ومن خلالِ كثرةِ النّقولِ عنهما، ومن ذلكَ ما ذَكَرَهُ أبو عُبَيْدَةَ، مُعتمداً على رأيِ الخليلِ، في تخريجِهِ للنّصبِ في قولِهِ جلَّ وعلا: **{لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا}**[81] بقولِهِ: «قَالَ الخَلِيْلُ: لَمْ يُنْصَبْ فعلٌ قَطُّ، إِلاَّ عَلَى مَعْنَى أَنْ وَمَوْضِعِهَا، وَإِنْ أُضْمَرُوْهَا، فَقِيْلَ لَهُ: قَدْ نَصَبُوا بـــ: حَتَّى، وكَيْ، ولَنْ، وَاللاَّمِ المَكْسُوْرَةِ، فَقَالَ: العَامِلُ فِيْهِنَّ: أَنْ»[82]، ويفيدُ ابن قُتَيْبَةَ مِنَ الخليلِ في توجيهِهِ لاسمِ الشّرطِ {قْ}، في أثناءِ وقوفِهِ على قولِهِ تعالى: **{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}**[83]، يقولُ: «وقالَ الخليلُ في {مَهْمَا}: هي "مَا" أُدْخِلَتْ معها "مَا" لغواً، كما أُدْخِلَتْ مَعَ "مَتَى" لغواً، تقولُ: متى تأتِنِي آتِكَ، ومَتَى ما تأتِنِي آتِكَ، وكما أُدْخِلَتْ مَعَ "مَا" أَيٌّ لغواً، كقولِهِ: **{أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}**[84]؛ أَيْ: أَيَّاً تَدْعُوا، قالَ: ولكنَّهم استقبحوا أَنْ يُكرِّروا لفظاً واحداً، فيقولوا: "مَا مَا"، فأبدلوا الهاءَ مِنَ الألفِ الّتي في الأُولى»[85]، وهذا ابن خالويه ينقلُ عن الخليل رأيَهُ في لام {لْ}، من قولِهِ تعالى: **{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}**[86]، بقولِهِ: «قالَ الخليلُ والبصريُّونَ: اللاَّمُ لامُ الإضافةِ، مُتَّصِلَةٌ بـــ {فَلْيَعْبُدُوا}[87]، والتّقدير: فليعبدُوا رَبَّ هذا البيتِ؛ لأَنَّ اللهَ مَنَّ عليهم بِإِلْفِ قُرَيْشٍ، وَصرفَ عنهم شَرَّ أَصحابِ الفيلِ»[88].

وَمِنْ اعتمادِهِمُ الكَثِيرِ جدّاً على يُونسَ بنِ حبيب، نَقْلُ الأَخْفَشِ رَأْيَهُ فِي تَذْكِيْرِ لفظِ {السَّمَاءُ}، من قولِهِ عَزَّ وجَلَّ: **{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ}**[89]، بقولِهِ: «وقَالَ يُونسُ: ذَكَّرَ كَمَا يُذَكَّرُ بَعْضُ المُؤَنَّثِ، كما قال الشاعر[90]:

فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

([80]) النَّحَّاس، أبو جعفر. *مَعَاني القُرآن*. ج2، ص838.

([81]) سورة فاطر، الآية 36.

([82]) أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى. *مجاز القرآن*. ج2، ص155.

([83]) سورة الأعراف، الآية 132.

([84]) سورة الإسراء، الآية 110.

([85]) الدَّيْنُورِيُّ، ابنُ قُتَيْبَةَ. *تَأْوِيلُ مُشْكِلِ القُرْآنِ*. تحـــ. السَّيِّد أَحْمَد صَقر. ط2، مكتبة دار التّراث، القاهرة، 1427هـــ–2006م، ص479 / وانظر: سِيْبَوَيْهِ، عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ. *الكِتَاب*. ج3، ص59–60.

([86]) سورة قُريش، الآية 1.

([87]) سورة قُريش، الآية 3.

([88]) ابنُ خَالَوَيْهِ، الحسينُ بنُ أَحْمَدَ. *إِعْرَابُ ثَلاَثِيْنَ سُوْرَةً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ*. تحـــ. محمّد إبراهيم سليم. مكتبة القُرآن، القاهرة، 1989م، ص212.

([89]) سورةُ المزّمّل، الآية 18.

([90]) البيتُ لعامر بن جُوَين الطّائيّ، واستشهدَ به الطبّريّ في تفسيرِهِ. انظر: الطَّبَرِيّ، محمّد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج1، ص193. وهو أيضاً من شواهدِ سيبويه. انظر: سِيْبَوَيْهِ، عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ. *الكِتَاب*. ج2، ص46.

وقولُهُ[91]:

فَإِمَّا تَرَيْ لِمَّتِي بُدِّلَتْ فَإِنَّ الحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا

وَقَدْ تَكُونُ {السَّمَاءُ} يُرِيْدُ بِهِ الجَمَاعَةَ، كَمَا تَقُولُ: هَلَكَ الشَّاةُ وَالبَعِيْرُ؛ يَعْنِي: كُلَّ بَعِيْرٍ، وَكُلَّ شَاةٍ، وَكَمَا قَالَ: **{خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}**[92]؛ أَيْ: مِنَ الأَرَضِيْنَ»[93]، وكذلكَ نقلُهُ تخريجَهُ لقولِهِ تعالى: **{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ}**[94] بقولِهِ: «إِنَّ {مِنْ طَرْفٍ} مِثْلُ: بِطَرْفٍ، كَمَا تَقُولُ العَرَبُ: ضَرَبْتُهُ فِي السَّيْفِ، وَبِالسَّيْفِ»[95]، وهذا الزّجّاج يقولُ في أثناءِ حديثِهِ عنِ بناءِ الحروفِ: «أَصْلُ الحروفِ الّتي يُتَكَلَّمُ بها –وهي على حرفٍ واحدٍ– الفَتْحُ أبداً، إلاَّ أَنْ تجيءَ عِلَّةٌ تزيلُهُ؛ لأَنَّ الحرفَ الواحدَ لا حظَّ لَهُ في الإعرابِ... وإنَّما كُسِرَتِ اللاَّمُ فِي قولِكَ: لِزَيْدٍ؛ ليفصلَ بينَ لام القسمِ ولام الإضافةِ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ لو قلتَ: إِنَّ هذا لِزيدٍ، عُلِمَ أَنَّهُ ملكُهُ، ولو قلتَ: إِنَّ هذا لَزيدٌ، عُلِمَ أَنَّ المُشارَ إليهِ هو زيدٌ؛ فلذلكَ كُسِرَتِ اللاَّمُ في قولِكَ لِزيدٍ، ولو قلتَ: إِنَّ هذا المالَ لَكَ، وإِنَّ هذا لَأَنْتَ، فتحْتَ اللاَّمَ؛ لأَنَّ اللَّبْسَ قَدْ زالَ[96]، والّذي قُلْناهُ في اللاَّمِ هو مذهبُ سيبويهِ، ويونسَ، والخليلِ، وأبي عمرو بنِ العلاء، وجميعِ النَّحْوِيِّيْنَ الموثوقِ بِعلمِهم»[97]، وفي هذا إقرارٌ صريحٌ من الزّجّاجِ باعتمادِهِ على الكثيرِ من النَّحْوِيِّين الثّقاتِ في تفسيرِهِ، ودليلٌ على أَثَرِ أولئكَ النَّحْوِيِّين الكبيرِ في كتابِهِ وكُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ الأُخْرَى.

هـ– أَثَرُ الطَّبَقَاتِ الأُخْرَى مِنَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ:

أَمَّا تَأَثُّرُهُمْ بِالطَّبَقَاتِ الأُخْرَى مِنَ النَّحْوِيِّيْنَ –سَوَاءٌ الطّبقة الرّابعة[98] والخامسة[99] والسّادسة[100] والسّابعة[101] مِنَ البَصْرِيِّيْنَ، أَوِ الطّبقة الثّانية[102] والثّالثة[103] والرّابعة[104] والخامسة[105] من الكوفيِّينَ– فلنْ أخوضَ فِي الحديثِ عنه؛ تَوَخِّياً لِعَدَمِ الإِطَالَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَلأَنَّ زَمَنَ أصحابِ هذه الطّبقاتِ مُعَاصِرٌ لبعضِ مَنْ كَتَبَ في كتبِ معاني القرآنِ وَإِعْرَابِهِ من جهة ثانيةٍ، ولأَنَّ الكسائي والفرَّاء والأخفش هم من الّذينَ أَلَّفوا في كتبِ معاني

([91]) البيت للأعشى الكبير، وروايةُ الدِّيوانِ: **فَإِنْ تَعْهَدِيْنِي وَلِي لِمَّةٌ فَإِنَّ الحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا**. انظر: الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. *الدِّيوان (الصّبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين)*. تحـ. رودلف جابر. مطبعة آذلفهلزهوسن، فيينا، 1927م، ص120. / تحـ. مهدي محمّد ناصر الدّين. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، 1407هـ–1987م، ص28.

وهو من شواهد سيبويه أيضاً. انظر: سِيْبَوَيْهِ، عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ. *الكِتَاب*. ج1، ص45–46.

([92]) سورة الطّلاق، الآية 12.

([93]) الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. ج1، ص62.

([94]) سورة الشُّورى، الآية 45.

([95]) الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. ج2، ص512.

([96]) لأَنَّ لامَ الابتداءِ لا تدخلُ على ضميرِ النّصبِ ولا الجرِّ، واللاّمَ الجارّةَ لا تدخلُ على ضميرِ الرّفعِ.

([97]) الزَّجَّاج، أبو إسحاق. *معاني القرآن وإعرابه*. ج1، ص41–42.

([98]) وهم: سِيْبَوَيْهِ (–180هـ)، واليزيديّ (–202هـ)، وأبو زيد (–215هـ).

([99]) وهما: الأَخْفَش الأوسط (208هـ)، وقُطْرُب (–206هـ).

([100]) وهم: الجَرْميّ (–225هـ)، والتُّوَّزِيّ (–238هـ)، والمازنيّ (–249هـ)، وأبو حاتم السّجستانيّ (–255هـ)، والرِّياشيّ (–257هـ).

([101]) وهو: المُبَرِّد (–285هـ).

([102]) وهو: الكِسَائِيّ (–189هـ).

([103]) وهم: الأحمر (–194هـ)، والفَرَّاء (–207هـ)، واللِّحيانيّ (–220هـ).

([104]) وهم: ابن سَعدان (–231هـ)، والطّوال (–243هـ)، وابن قادم (–251هـ).

([105]) وهو: ثَعْلَب (–291هـ).

القرآن وهم من هذه الطّبقاتِ مِنْ جِهَةٍ ثالِثَةٍ، مَعَ ضَرُورَةِ الإشارةِ إلى أثر سيبويهِ (مِنْ أَصْحابِ الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ طَبَقَاتِ البَصْرِيِّينَ) الكبيرِ في هذه الكتبِ على اختلافِ مؤلِّفيها، لِمَا وَصَلَ إليهِ في الكتابِ من نضجٍ فكريٍّ ونحْويٍّ ولُغَويٍّ لَمْ يسبقْهُ إليهِ أحدٌ مِنَ النَّحْوِيِّين الّذينَ سبقوه أو عاصروه، ولم يرتقِ إليه أحدٌ ممّنْ جاؤوا بعدَهُ إلى يومِنا هذا؛ إذ نرى كتبَهم تُكْثِرُ مِنَ الاسترشادِ برأيهِ والتّسليمِ لمذهبِهِ في كثيرٍ من الأحكامِ الّتي خرّجوها

ولا بدَّ من التّنويه إلى أَنَّ أصحابَ معاني القرآنِ وَإِعْرَابِهِ قد تأثّرَ بعضُهم ببعضٍ، وسجّلوا آراءً كثيرةً عن بعضهم بعضاً، وكذلكَ فَإِنَّ مَنْ أَلَّفَ في كتبِ معاني القرآنِ وإعرابِهِ بعدَ نهاية القرن الثّالث الهجريّ كانَ قدْ تأثّرَ كثيراً بهذه الطّبقاتِ عموماً وبالكسائي والفرّاء والأخفش خصوصاً، من أمثالِ ابن قتيبة، والزّجّاج، والنّحّاس، وابن خالويه، وأبي عليّ الفارسيّ، وغيرهم.

وَيَبْقَى أَنْ أُشيرَ أَخِيراً إِلَى أَنَّ الخَوْضَ فِي مِثْلِ هَذَا الموضوعِ يحتاجُ ضَبْطُهُ إِلَى رِسَالَةٍ عِلْمِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، قَدْ تَتَعَدَّدُ أَجْزاؤُها وَأَبْوابُها وَفُصُولُها وَمَبَاحِثُها، وَإِنَّما اكتَفَيْتُ فِي هَذَا البَحْثِ بالإِشارَةِ إِلَى بَعْضٍ مِنْ نَماذِجِ آثارِ الجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ الأُولَى فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ؛ انسجاماً مَعَ ضَوَابِطِ البَحْثِ وَتَمَاشِياً مَعَ قَوَاعِدِهِ، الَّتِي تَقْضِي بِعَدَمِ الإِطَالَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ البُحُوثِ وَالدِّراساتِ العِلْمِيَّةِ، أَمَلاً بِالعُكُوفِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الدِّراسَةِ مُسْتَقْبَلاً؛ لأَهَمِّيتِهَا الكُبْرَى فِي حِفْظِ حَقِّ أُولئِكَ العُلَماءِ القُدَماءِ الأَجِلاَّءِ الّذينَ كانَ لَهُمْ أَثَرٌ كَبيرٌ فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرآنِ وَإِعْرابِهِ، أَسْهَمَ بِشَكْلٍ مُبَاشَرٍ فِي إِبْرازِ دَورِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ فِي خِدْمَةِ النَّصِّ الدِّينِيِّ واستنطاقِ نصوصِهِ بِوَصْفِهِ أَعْلَى ما فِي العَرَبِيَّةِ مِنْ بيانٍ.

الاِسْتِنْتَاجَاتُ، والتَّوْصِيَاتُ:

وَأُشيرُ أَخِيراً إِلَى أَنَّنِي حَصَرْتُ الدِّرَاسَةَ في القرآنِ الكريمِ عامّةً؛ لأنّه المصدرُ الأوّلُ والرّئيسُ للنَّحْوِ العربيِّ الذي اشتقَّ منه العلماءُ علومَ العربيّةِ كافّةً؛ وفي كتب معاني القرآن حتّى نهاية القرن الرّابع الهجريّ خاصّةً؛ لأنّ أصحاب هذه الكتب يركّزونَ فيها على المعنى المتأتّي من الاختلاف في الإعراب؛ وهي غايةُ البحث الرّئيسة المنشودة، في هذه الفترة الّتي اكتملت فيها جهود النّحويّين، وتأصّلت قواعدهم، وانتظمت أقيستهم.

وَلاَ بُدَّ من الاعترافِ بِأَنَّ هذا البحثَ مِنَ الأَبْحَاثِ الّتي يُحارُ المَرْءُ فِي اخْتِيَارِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يعرضُهُ فيها؛ ليثبتَ حقيقةَ تأثّرِ أصحابِ كتبِ مَعَانِي القُرْآنِ وإعرابِهِ ومجازِهِ وتأويلِهِ بالجهودِ النَّحْوِيَّةِ الّتي سَبَقَتْهُمْ، وَلَعَلِّي أَتَمَكَّنُ مِنْ عَرْضِ أَهَمِّ مَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فِي هَذَا البَحْثِ، بَعْدَ الاسْتِقْرَاءِ وَالاسْتِنْبَاطِ، فِيما يَأْتِي:

1- آثَرْتُ –بَعْدَ طُولِ إِنْعَامِ النَّظَرِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ المُهِمَّةِ مِنْ تَارِيخِ نَحْوِنَا العَرَبِيِّ، فِي ضَوْءِ بَعْضٍ مِنْ تَفَاسِيرِ عُلَمَائِنَا الأَجِلاَّءِ القُدَامَى، المَبْنِيَّةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِهِ فِي تَوْجِيهِ قِرَاءَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالوُقُوفِ عَلَى أَدَقِّ مَعَانِيهِ وَأَجَلِّ أَغْرَاضِهِ- أَنْ أُؤَكِّدَ ذَلِكَ التَّأَثُّرَ لأَصْحَابِ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ بِالجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ المُبَارَكَةِ الّتي سَبَقَتْهُمْ، مِنْ خِلاَلِ عرضِ بعضٍ من الشّواهدِ والنّقولِ الّتي اعتمدُوا عليها في كتبِهم، في أثناءِ توجيهِهم لكثيرٍ من معاني الآياتِ القرآنيّةِ.

2- لأَصِلَ إِلى أَنَّ الفائدةَ كانتْ كبيرةً، والأثرَ كانَ عميقاً ومباشراً في كثيرٍ من الأحيانِ، وكانَ مُنْصَبَّاً على العديدِ من القضايا (النَّحْوِيَّةِ والصّرفِيَّةِ والبلاغيَّةِ واللُّغَوِيَّةِ والدّلاليّةِ) الّتي يحتضنُها علمٌ واحدٌ هو عِلْمُ النَّحْوِ بالمفهومِ الواسعِ له، الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ مُنْذُ بِدَايَةِ تَقْعِيدِهِ وَرَسْمِ حُدُودِهِ وَضَبْطِ قَوَاعِدِهِ الأُولَى.

3- ضَرُوْرَةُ التَّأْكِيْدِ عَلَى العَلاَقَةِ الوثيقةِ بَيْنَ عِلْمِ النَّحْوِ وَعِلْمِ التَّفسيرِ، مُنْذُ النَّشْأَةِ الأُولَى لِكُلٍّ مِنَ العِلْمَيْنِ، مُرُوراً بِتَطَوُّرِهِما، وَنُضُوجِهِما، وَخُرُوجِهِما عَلَى الوَجْهِ الأكملِ وَالضَّبْطِ الأَمْثَلِ لَهُما.

4- وَعَلَى أَنَّ هُنَاكَ العديدَ مِنْ آيِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ كَانَ لِلنَّحْوِ الفَضْلُ فِي توجيهِهَا، وَالفَصْلُ فِي الوقوفِ عَلَى خَصَائِصِ أَغراضِهَا وَدَقَائِقِ مَعَانِيْهَا.

5- إِنَّ كُتُبَ مَعَانِي القُرْآنِ الّتي أُلِّفَتْ حَتَّى نِهايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ تشملُ أَيْضَاً كُتُبَ تَأْوِيلِ القُرْآنِ وغَرِيبِهِ وَمُشْكِلِهِ وَمَجَازِهِ؛ لأَنَّ مُصطلحاتِ (التَّأْوِيلِ، وَالغَرِيبِ، وَالمُشْكِلِ، وَالمَجَازِ) عِنْدَ أَصْحَابِهَا لَمْ تَدُلَّ عَلَى المَعَانِي الضَّيِّقَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا لَهَا عُلَمَاءُ البَلاَغَةِ وَالتَّفْسِيرِ فِيمَا بَعْدُ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى اسْتِكْنَاهِ أَسَالِيبِ النَّظْمِ، وَاسْتِخْرَاجِ أَدَوَاتِ الصِّيَاغَةِ، وَاسْتِنْبَاطِ قَوَاعِدِ التَّعْبِيرِ، وَتَتَبُّعِ طُرُقِ البَيَانِ الَّتِي يَسْلُكُهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي تَعْبِيرَاتِهِ؛ لِيَصِلُوا بِهَا إِلَى حَقَائِقِ المَعَانِي الوَارِدَةِ فِيهِ، وَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ كَيْفِيَّةَ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهَا، وَآلِيَّةَ العُبُورِ إِلَى اسْتِيعَابِ أَغْرَاضِهِا وَأَهْدَافِها وَمَقَاصِدِهَا الَّتِي نَصَّ عَلَيهَا كِتَابُ اللهِ بِمَا حَوَاهُ مِنْ آيَاتٍ مُبَارَكَاتٍ.

المَرَاجِعُ:

1- القُرْآنُ الكَرِيمُ.

2- الأَخْفَش، سعيد بن مسعدة. *معاني القرآن*. تحـــ. د. هُدى محمود قراعة. ط1، مكتبة الخانجي-مطبعة المَدَني، القاهرة، 1411هـــ-1990م.

3- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. *الدِّيوان (الصّبح المنير في شعرِ أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين)*: تحقيق رودلف جابر. مطبعة آذلفهلزهوسن، فيينا، 1927م / وتحقيق مهدي محمّد ناصر الدِّين. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1407هـــ-1987م.

4- البغداديّ، عبد القادر بن عمر. *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب*. تحـــ. محمّد نبيل طريفي - إيميل بديع اليعقوب. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

5- ابن جبر، مُجاهد. *تفسير مُجاهد*. تحـــ. عبد الرّحمن الطّاهر بن محمّد السّورتي. ط1، مطابع الدّوحة الحديثة، الدّوحة-قطر، 1396هـــ-1976م.

6- حتحات، د. أمان الدِّين محمّد. *الأثر الفقهيّ في استدلال النّحاةِ*. ط1، دار النّهج، حلب، 1428هـــ-2007م.

7- الحَلَبِيّ، أحمد بن يوسف. *الدُّرُّ المَصُون في علومِ الكتابِ المَكنُون*. تحـــ. د. أحمد محمّد الخرّاط. ط2، دار القلم، دمشق، 1424هـــ-2003م.

8- الحلوانيّ، د. محمّد خير. *المفصّل في تاريخ النَّحْو العربيّ*. ط1، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت-لبنان، دون تاريخ.

9- الخالدي، د. صلاح عبد الفتّاح. *تعريفُ الدّارسينَ بمناهجِ المُفَسِّرينَ*. ط1، دار القلم، دمشق، 1423هـــ-2002م.

10- ابنُ خَالَوَيْهِ، الحسينُ بنُ أَحْمَدَ. *إِعْرَابُ ثَلاَثِيْنَ سُوْرَةً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ*. تحـــ. محمّد إبراهيم سليم. مكتبة القُرآن، القاهرة، 1989م.

11- ابن خَالَوَيْهِ، الحسين بن أحمد. *الحجّة في القِرَاءَات السبع*. تحـــ. د. عبد العال سالم مكرم، ط1، مؤسّسة الرّسالة، بيروت-لبنان، 1421هـــ-2000م.

12- ابنُ خَالَوَيْهِ، الحسينُ بنُ أَحْمَدَ. *مختصر في شواذّ القرآن من كتابِ البديعِ*. مكتبة المُتنبّي، القاهرة، دون تاريخ.

13- الخطيب، د. عبد اللطيف. *معجم القِرَاءات*. ط1، دار سعد الدّين، دمشق، 1422هـــ-2002م.

14- الدُّؤَلِيُّ، أَبو الأسود. *الدِّيوان (صنعةُ أبي سعيد الحسن السُّكَّريّ)*. تحـــ. الشّيخ محمّد حسن آل ياسين. ط2، دار الهلال، بيروت-لبنان، 1418هـــ-1998م.

15- الدَّيْنُورِيُّ، ابنُ قُتَيْبَةَ. *تَأْوِيلُ مُشْكِلِ القُرْآنِ*. تحـــ. السَّيِّد أَحْمَد صَقر. ط2، مكتبة دار التّراث، القاهرة، 1427هـــ-2006م.

16- الزَّجَّاج، أبو إسحاق. *معاني القرآن وإعرابه*. تحـــ. د. عبد الجليل عَبْدُه شلبي. ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـــ-1988م.

17- الزّركشيّ، بدر الدِّين محمّد. *البُرهان في علوم القرآن*. تحـــ. محمّد أبو الفضل إِبْرَاهِيم. ط2، المكتبة العصريّة، صيدا-بيروت، 1425هـــ-2005م.

18- ابن زُهَيْر، كعب. *الدِّيوان*. صنعةُ الإِمَامِ أَبِي سَعِيْدٍ الحَسَنِ بنِ الحُسَيْنِ العَسْكَرِيِّ. قدَّمَ له حنَّا نَصر الحِتّي. ط1، دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1414هـــ-1994م.

19- سِيْبَوَيْهِ، عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ. *الكِتَاب*. تحـــ. عبد السَّلاَم محمَّد هارون. ط1، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.
20- السِّيُوطِيّ، جَلاَل الدِّين. *الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ القُرْآنِ*. تحـــ. سعيد المندوب، ط1، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1416هـــ–1996م.
21- الطَّبَرِيّ، محمّد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. دار الفكر، بيروت، 1405هـــ.
22- أبو عُبَيْدَة، معمر بن المثنّى التّيميّ. *مجاز القرآن*. تحـــ. د. محمّد فؤاد سزكين. ط2، مؤسّسة الرّسالة، بيروت–لبنان، 1401هـــ–1981م.
23- ابن عَطِيَّة، أبو محمّد عبد الحقّ. *المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ط1، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، 1423هـــ–2002م.
24- الفارسيُّ، أبو عليّ. *الحُجَّةُ للقُرَّاءِ السَّبْعَةِ (أَئِمَّةِ الأَمْصَارِ بِالحِجَازِ وَالعِرَاقِ وَالشَّامِ الَّذِيْنَ ذَكَرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ابنُ مُجَاهِدٍ)*. تحـــ. بدر الدِّين قهوجي – بشير جويجاتي. راجعَهُ ودَقَّقَهُ عبد العزيز رباح – أَحمد يوسُف الدّقّاق. ط1، دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ، دمشق، 1407هـــ–1987م.
25- الفَرَّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. تحـــ. أحمد يوسف نجاتي ــ محمّد عليّ النّجّار. ط3، مطبعة دار الكتب المَصْرِيَّة، القاهرة، 1422هـــ–2001م.
26- الفرزدق، هَمَّام بن غالب. *الدِّيوان*: شرح إيليّا الحاوي. ج2، ط1، دار الكتاب اللّبنانيّ – مكتبة المدرسة، 1983م / وشرح علي فاعور. ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت–لبنان، 1407هـــ–1987م / والّذي أملاه محمّد بن حبيب عن الأعرابيّ (العربية الفرنسية) الّتي طُبِعَتْ في باريس سنة 1870م.
27- القُرْطُبِيّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد. *الجَامِعُ لأَحْكَامِ القُرْآنِ*. تحـــ. عبد الرَّزَّاق المهديّ. دار الكتاب العربيّ، بيروت–لبنان، 1424هـــ–2004م.
28- الكِسَائِيّ، عليّ بن حمزة. *معاني القرآن*. أَعَادَ بناءَهُ وَقَدَّمَ لَهُ د. عيسى شحاتة عيسى. دار قباء، القاهرة، 1998م.
29- الماورديّ، عليّ بن محمّد. *النّكت وَالعُيُون (تفسير الماورديّ)*. تحـــ. السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم. دار الكتب العلمِيَّة–مؤسَّسَة الكتب الثَّقافيَّة، بيروت–لبنان، دون تارخ.
30- ابن مَنْظُور، مُحَمّد بن المُكَرَّم. *لسان العرب*. تحـــ. عبد الله علي الكبير؛ محمّد أحمد حسب الله؛ هاشم محمّد الشَّاذّليّ. دار المعارف، القاهرة، د.ت.
31- النَّحَّاس، أَبُو جعفر. *إعراب القرآن*. تحـــ. الشّيخ خالد العلي. ط1، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 1427هـــ–2006م.
32- النَّحَّاس، أبو جعفر. *مَعَانِي القُرآن*. تحـــ. د. يحيى مُرَاد. دار الحديث، القاهرة، 1425هـــ–2004م.